علي بن محمد العيسى

قبيلة آدم

عن

التربية والمجتمع

(٤)

1446 هـ
2025 م

بسم الله الرحمن الرحيم
أمّا قبل .. وأما بعد

حقوق الطباعة والنشر لكل ما كتبت شعراً ونثراً مشاعة لمن يريد يحدث نفعاً للشيء والمجتمع.

المثاقفة تبادل المعارف والمعلومات الفكرية والأدبية شعرية ونثرية، وهي هنا في مجالات التربية ورحاب المجتمع، بكل أبعاد التطور والرقي والازدهار، ,, وكل يغني على ليلاه ,, ووسائل التواصل المتعددة اخترت الآن لمبرات اخترت الـ PDF لدوافع وصوانع لسهولة المواصلات.

وانتقيت من أتوسم فيهم كنخبة الأخذ برفده بيد المجتمع وناشئته إلى ما تصبو إليه الريادة الرائدة.

ولأني بلا اختيال ولا احتيال، ولا أزكي نفسي على الله - واسع الرفد، رحب الصدر، أقدّر عذر المعتذر فأحب من يقول لي: شكرا، وعذرا لا أرغب في استمرار إرسال المواد الثقافية إليّ، لسبب بسيط، هو أنه ليس لديّ وقت فراغ، فرحاً على وقتي وصولي وهوايتي، وحرصا على وقتك وجهدك - أنفي عني - لا داعي للاستمرار في إرسال ما ترسله إليّ، مع التحية.

وشكرا من قلب محب، وسأتوقف برضا تام.

وشاكرا - من قبلي - على الأريحية، ورفع الأخوية النقية

مع التحية من
علي الهيصي

بسم الله الرحمن الرحيم

1447
2025

إيضاح .. يمنحني مزيداً من الارتياح

مؤلفاتي المتواضعة، نفدت - غالبا - من مكتبات البيع، والبديل عندي لتصل إلى الباحثين والدارسين والناقدين أنه أدونها في ملفات الـ PDF

لتصل - ما أمكن - إلى من قد يجد لها نفعا للتربية والمجتمع والفكر والشعر، ربما، وللمشتغل بحقل نشرها.

وقد أخذت الكتب تسلسلا من 31 إلى 50 في PDF.

وهي لمن يرغب في الاطلاع والقراءة والمناقشة والحوار الذي غالبا ما يولد ثمرة من نتائج مفيدة في القبول والرفض.

• والحوار جادة للصواب بالعبارة إلى الرقي والازدهار ونقي الحضارة، بعد الوقوف المتعمق في مختلف السلبيات والإيجابيات. التي تقيم مفاهيم الحضارات.

والله الموفق لخير العمل وحمل الخير؟

• ويكيبيديا على حمد العيسى، لأخذ فكرة ومعلومات عن المؤلف.

مع تحيات
علي العيسى

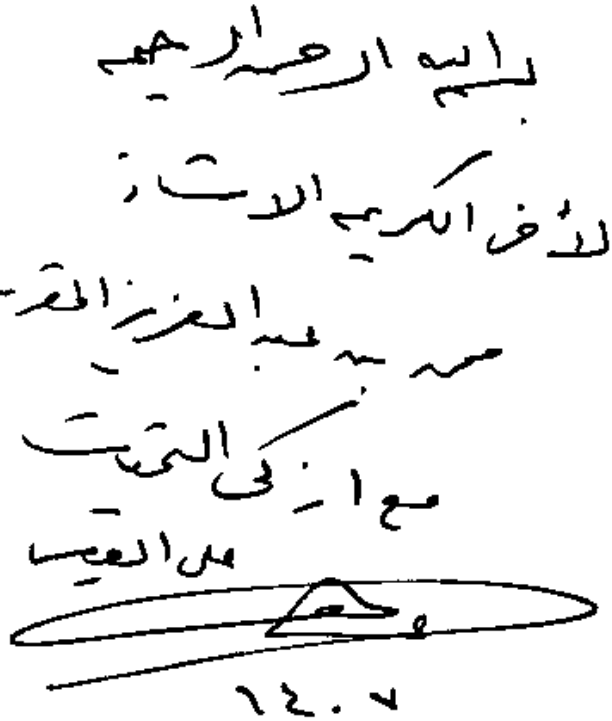

قبيلة آدم

عن

التربية والمجتمع

جميع الحقوق محفوظة

للمؤلف

الطبعة الأولى

ص ب = ٥٧٩٠٨

الرياض ١١٥٨٤

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م
١٩٨٧

يطلب من مكتبة الحرمين بالرياض

هاتف: ٤١٢١٩٤٩ - ٤٧٧٩٣٣١

ص. ب.: ٢٥٥٩٠

الرياض: ١١٤٧٦

٤١٠/٤
ع ع ق

علي بن محمد العيسى

قبيلة آدم

عن

التربية والمجتمع

(٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ بالله السميع العليم

من الشيطان الرجيم

﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

إختلاف ولا خلاف

أمتنا التي كانت في بداوتها متحضرة حسب المفهوم الإنساني للحضارة لا المفهوم الحديث التقني «الميكانيكي». تلك الأمة الراقية في سلوكها، الرائعة في تفكيرها، المثيرة للإعجاب في علاقاتها ومعاملاتها وسعة أفقها واحترامها للرأي والرأي الآخر وخاصة عندما يصدران عن حسن نية وسلامة وُجْهة واجتهاد ورغبة في الصلاح والإصلاح، تلك الأمة هي التي سادت الدنيا.

فالرفعة وعلو الهمة والسمو وعمق الفكر وجودة الإدراك وبعد النظر ونقاء النهج عناصر رئيسة كفيلة بأن تجعل الأمة في موطن الريادة، وموضع القيادة، ومتى نكصت فقد انتكست.

وعلماء الفقه الإسلامي وخاصة من عاشوا في القرنين الأولين من الهجرة قد تختلف وجهات نظرهم لكن في ظل توجيه القرآن الحكيم والسنة الهادية، فهذا يرى ألاّ يقف المأموم منفرداً خلف الصف في صلاة الجماعة، وآخر يرى أن الحركة في الصلاة إذا كثرت أبطلتها، ولا يمانع في وقوف المنفرد خلف الصف إذا لم يجد له مكاناً في الصف، ويخشى إن انتظر من يجيء ألاّ يجيء

أحد أو يجيء متأخراً، فهو إذاً يدخل في الجماعة ولو صلى منفرداً خلف صفوفهم، ومع ذلك لم يجرهما اختلاف الرأي المجتهد النزيه العالم إلى أن يسيء أحدهما الظن بالآخر والحكم عليه، وانما اعتبر الإختلاف توسيعاً ورحمة. ولمزيد من الإطلاع يمكن الرجوع إلى كتاب صحيح ابن خزيمة جـ ٣ ص ٣٠ (٢).

ومثل آخر يرويه الشيخ الأديب العلامة محمد الغزالي في كتابه «فقه السيرة» (٣) ص ٣٣٦ حيث يقول: «روى البيهقي أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: عزمت عليكم أن لا تصلوا صلاة العصر حتى تأتوا بني قريظة، فغربت الشمس قبل أن يأتوهم، فقالت طائفة من المسلمين: إن رسول الله لم يُرد أن تدعوا الصلاة فصلّوا. وقالت طائفة: والله إنّا لفي عزيمة رسول الله، وما علينا من إثم، فصلت طائفة إيماناً واحتساباً، وتركت طائفة إيماناً واحتساباً، ولم يعنف رسول الله واحداً من الفريقين.

وذلك يمثل احترام الإسلام لاختلاف وجهات النظر ما دامت عن اجتهاد بريء سليم، والناس غالباً أحد رجلين، رجل يقف عند حدود النصوص الظاهرة لا يعدوها، ورجل يتبيّن حكمتها ويستكشف غايتها، ثم يتصرف في نطاق ما وعى من حكمتها وغايتها، ولو خالف الظاهر القريب» انتهى.

فهذا القائد الإمام أبو التربية لم يعترضْ على أي منهما ولم يخطّىء أحد الفريقين، وها هما الفريقان أو الطائفتان لم تكفر

إحداهما الأخرى ولم تجرّحها، وإنما جرى بينهما احترام رأي متبادل، وانضباط وانقياد لحكم القيادة الحكيمة الصادقة الأمينة. مثل رائع لا يوجد له مثيل لا في عالم الحرية والديمقراطية الحديث، ولا في عالم المساواة المعاصر، ولذا لا غرابة إذا أمسكت أمة مثل هذه بزمام القيادة وتحققت لها السيادة، وليس من المنطق المعقول في شيء أن تتحقق الآمال في غمضة عين وانتباهتها، لكن من أراد تحقيق الآمال بإذن الله فعليه أن يأخذ بالأسباب، ومن أسباب القوة والمنعة إزالة أسباب الفرقة، وإزاحة عوائق اللحمة، والابتعاد عن ضيقي الصدر والأفق. ولمزيد من التعرف على مواطن اختلافات في الرأي دون خلاف، أو تهم، أو تأثير على مشاعر الأخوة وحسن الظن بين قادة الفكر الإسلامي وريادة أمته يمكن الرجوع كمثل فقط إلى كتاب الإفصاح لابن هبيرة (٤).

وهذا الكتاب يطرق أحد الأبواب أو أحد الأسباب التي تحقق الاجتماع على الخير، وهو لا يقتصر على اقليم معين وإنما يتحدث عن مشكلة القبلية وعاداتها من المحيط إلى الخليج، ولربما تجاوز إلى الأبعد. وإن اختلفت أشكالها ومسمياتها حتى في الإقليم الواحد من منطقة إلى منطقة. وقد لا يقتصر الأمر على البلدان العربية، لكن البحث اقتصر على البلاد العربية وباللغة العربية، ولذا لا آذن في ترجمة الكتاب ـ إن ورد ما لم يكن في الحسبان ـ لأنه في نظري ليس بذي أهمية لذوي

اللغات الأخرى تتعدى أهمية الاقتصار على اللغة العربية فقط.

وإن صار لهذا الكتيب دخل يستحق الذكر أو حتى لا يستحقه فيكفي المعنى والاتجاه والدعوة كمفاهيم أرجو تحقيقها على أوسع نطاق، فإني أتبرع بنصيبي من ربحه لصالح طباعة كتب إسلامية مبسطة في ترجمة معاني القرآن الكريم، والحديث الشريف، أو العقيدة ومبادىء الإسلام والسيرة النبوية العطرة، وسير الصحابة رضوان الله عليهم وأئمة التابعين رحمهم الله باللغات غير العالمية مثل السيلانية والتايلاندية والفلبينية وغيرها أو اللغات العالمية التي تشكو من عجز في كتب الدعوة الإسلامية مثل الصينية والروسية لعلها تصل إلى من هم بحاجة إلى الدعوة إلى الله ودينه عن طريق أفغانستان أو هونق كونن[1] أو غيرهما، كأن توزع على الحجاج القادمين من تلك البلدان المفتقرة إلى قراءة وسماع كلمة الله سبحانه، ودعوة نبيه ﷺ المرسل رحمة للعالمين كافة.

وجهد المقل المتبرع به يكون عن طريق الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد أثابها الله.

جعله الله عملاً صالحاً خالصاً لوجهه الكريم، وجعله رغم محدوديته وقلته سبباً في أجر عظيم للوالدين حصة كبيرة منه.

---

(١) طالع كتاب «ما استطعت» ص ٤٥ نشر دار العلوم بالرياض.

ولعل الاجتهاد يحقق أجرين لصوابه بدلاً من أجر واحد فقط للخطأ مع حسن المقصد. ولعل من تبرعهم أجزل وأفضل يسبقون إلى فعل الأمثل، سراً وعلانية، والعلن، في زمننا هذا مفضل للحث وإيجاد القدوة.

والله من وراء القصد
وهو العليم بذات الصدور
الأدرىٰ بالنيات

علي بن محمد العيسى

قبيلة آدم

يساوي العليم الخبير ـ سبحانه ـ بين البشر فيما يشاء، ولو لم يساوِ بينهم لما منعهم من الإعتراض إلّا الإيمان واليقين والتقوى. ولكنه ـ جلّ شأنه ـ جعل الناس سواسية كأسنان المشط. وإذا بما لم يُتوقع يحصل، إذا بالناس أنفسهم الذين يفترض فيهم شكر هذه النعمة لموجدها يوجدون لأنفسهم بأنفسهم فوارق ما أنزل الله بها من سلطان، وهم من قد يرفضونها لو جاءت من غيرهم، لكنهم يدافعون عما تجنيه أيديهم.

والقرآن الحكيم، والسنة الهادية المطهرة، لم يشرعا ولم يقرّا تقسيم الناس إلى قبيلي وغير قبيلي، وما التسميات التي اصطلح على إطلاقها على من يعتبرون غير قبيليه، وهي حديثة إلى حدٍّ ما ـ غير الموالي ـ إلّا دليل على بدعيتها وأنها وليدة سنوات الظلام والتخلف والانحطاط الاجتماعي والتربوي.

والمسميات تتغاير وان اتفقت معنى إلى حد بعيد في شرقي الجزيرة وفي قلبها، وفي غربيّها، وإن عرفتُ شيئاً فإن أشياء

تغيب، ولربما يكون مما غاب ولم أطلع عليه هو أني لا أعرف أبحاثاً موسعة موثقة* تطوّعت بأخبارنا عن منشأ الكلمات التي صارت مسميات لغير القبيلي أي من لا ينتسب إلى قبيلة معروفة، ولربما يشترط أن تكون يعربيه.

ولربما كان أجداده ينتسبون إلى قبيلة معروفة ثم مرت ظروف طارئة جعلت أحد أفراد السلالة يضيّع انتسابه، فتحول إلى غير قبيلي.

وعلى أيّ حال، إن لزم التقسيم للتعارف، فليس من المقبول ما يتبع التقسيمات من فوارق وعادات وحدود وقيود هي من بقايا الجاهلية وحميتها ودعاوى الأمية القبلية واستمرار لها ـ «ولا جاهلية في الإسلام» ـ كلمة صريحة لا غبار عليها، وأعظم من الإثم أو الخطأ التمسك به والإصرار عليه و «دعوها فإنها نتنة».

ومن لم يجد من مؤيدي التفريق دليلاً صريحاً من المصدرين الأساسيين للتشريع الإسلامي ورسم منهج حياة أمته ونهج مجتمعه، دليلاً يسنده ويدعمه من الكتاب والسنة اللذين أكملا لنا ديننا ـ بإذن الله وقدرته ـ قد يتأول فيعتبر التناسب القبلي شرطاً للكفاءة في الزواج مثلاً. بينما حقائق صريح الأدلة تحثُّ على التساوي، وتبعث في النفس النفور من مزيد الفوارق الاجتماعية المختلفة التي لا يقرها الخالق سبحانه في تعاليمه

* طالع معجم اليمامة للأستاذ عبد الله بن الخميس جـ ١ ص ٤١.

التامه، ولا المخلوق في إنسانيته التي منَّ الله بها عليه، وضميره الذي ميّزه عن الجماد والوحوش المفترسة. في حال ما إذا كان حيّاً. أما الميّت «فما لجرحٍ بميّتٍ إيلام».

وقد يقول قائل: إن الله خلق الناس شعوباً وقبائل، فيقال له: إن الله ـ جلّ وعلا ـ عندما أخبر بذلك أردف القول مباشرة بالتعليل فقال: ﴿لتعارفوا﴾ ولم يقل لتدابروا أو لتقاطعوا أو لتوجدوا بينكم طبقيات وتشعبات لا يقرها دستور الأمة القرآن المجيد، والإسلام في كافة توجيهاته، ولا تقرّها إنسانية الإنسان وعقله وقلبه، وخاصة عندما يضع الإنسان نفسه موضع الآخر ويتصور موقفه، وينصف في آرائه بتجرد وتعقل وصدق وحكمة.

والتعارف إقبال ومودة وإخاء وصلة، والفوارق الاجتماعية والعوازل المصطنعة التي ما أنزل الله بها من سلطان، والانقسامات القبلية الحادة المتطرفة بين القبيلي وغير القبيلي إدبار وتقاطع وتفكك وبُعد عن التراحم والتلاحم.

قال رب العزة والجلالة: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (١٣) سورة الحجرات.

حكم صريح ورأي قاطع، يتبع الفكرة بعلّتها وسببها ليوجّه إليه وهو لا يقبل التأويل ﴿لتعارفوا﴾ مع الأخذ بعين الإعتبار أن﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ أي أن الأفضلية بين

شخص وآخر إنما تقتصر على التقوى، وتتكرس في مداها ومعناها الشامل لكل توجهات الإسلام وتوجيهاته وإرشاداته البناءة النيرة التي تشيد وتضيء سبيل الحضارة الحقة الأصيلة.

وقد يقول الجهلة المغرقون في جهلهم أو حمقهم: إن هؤلاء أي القبيلية من آدم وأولئك ـ وهم من سواهم ـ ولدوا من أب آخر!!

ولعله كما يبدو جلياً التطرف والتعصب لا الجهل فقط. ولكن القرآن المجيد يقول: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً﴾ (١) سورة النساء.

ويقول الدستور الرائع أيضاً ﴿ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقنـهم من الطيبات وفضلنـهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ (٧) سورة الإسراء.

والتكريم لم تختص به فئة عن فئة، وإنما هو عام شامل لمن يعرف قبيلته ومن لا يعرفها، ومن له شجرة نسب ومن ليس له!

ولكنه قد يعرف علاقته بربه ودينه ومجتمعه وحينذاك يفضل من سواه في ذلك، ولا أفضلية فيما عداه.

وقال صاحب المصدر الثاني للتشريع ﷺ «الناس سواسية كأسنان المشط الـواحد، لا فضـل لعربي عـلى عجمي إلّا بالتقوى».

وقال: «إن الله أذهب بالإسلام نخوة الجاهلية، وتفاخرهم بآبائهم لأن الناس من آدم، وآدم من تراب، وأكرمهم عند الله أتقاهم» (٥) ص ٤٥٦ ـ ٤٥٧.

ولا عبرة للون أو الجنس أو العرق أو النسب أو الحسب أو الثراء أو الجاه أو المركز أو القومية أو الجنسية.

وحتى درجة تفضيل الرجل على المرأة جاءت مقابل أمور الانفاق والقوامة والرئاسة إذ لا بدّ من تعيين ربّان لسفينة المنزل لكيلا تغرق الأسرة التي هي إحدى دعائم المجتمع بل هي دعامته وأساس تكوينه.

ولكن الله ـ سبحانه ـ يقول وقوله الحق ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حيوة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (٩٧) سورة النحل.

ويقول عزّ من قائل: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ (٧١) سورة التوبة، ويقول سبحانه: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم ءآيته لعلكم تهتدون﴾ (١٠٣) سورة آل عمران.

وهذه الآية وغيرها يجب ألّا يكن مجرد عبارات مقالات، وشواهد وأدلة أحاديث وآراء جدل أو زينة لوحات، أو شعار

ندوات فقط، بل لا بد ليكتمل الأخذ بهن من اقتران القول بالفعل، والرأي بالتطبيق والممارسة، وأن يكون السلوك اليومي موافقاً تمام الموافقة للمبدأ الكلامي، فلنضع العاطفة على الرف مغطّاة إلى حين يستلزم وجودها ولنحكم عقولنا، وننفض الغبار عنها.

وقد يقول قائل: إننا نحافظ على أنسابنا ونتعلم منها ما يساعدنا على صلة أرحامنا، فيقال للقائل: إلى هذا الحد، وقصراً على هذا التبرير، وحصراً في نطاقه لا بأس بذلك على ألاّ يجر إلى ممنوع غير مشروع، فشطر المجتمع إلى قبيلي وغير قبيلي لايتصاهران، ليس تعاوناً على البر والتقوى، وليس في إزالة الفوارق الطبقية والنسبية تعاون على الإثم والعدوان.

وأما التخيّر للنطفة فهو بالتأكد والتحري من صلاح الأسرة وتقواها، وإن ذكرها وأنثاها ممن يخشيان الله ويتقيانه في النهار الشامس وفي الليل الدامس، ومن اتقى الله لن يضره عدم قبليته، ومن زلّت به قدمه وهواه في الأوحال والقاذورات لم ولن تنفعه قبليته ونسبه شيئاً، ولن يكون حينذاك من اختاره قد تخيّر ـ موفقاً ـ لنطفته.

ويقولون (الخال جذاب) ويقصدون في سوء الطبع وحسنه وسلامة المسلك ورداءته، وليس من طبع خاص بمن رسمت خرائط قبائلهم يختلف لهذا السبب عمن لم ترسم خرائط قبائلهم ويجري تتبع نسبهم!

فأول مسألة ـ وهي الأهم ـ تتطلب التخير من أجلها هي مسألة العِرْض والشرف، ويليها الأخلاق المهمة كالبعد عن الكذب والسرقة والغش والرشوة والغيبة والنميمة والأثرة والأنانية والجشع والمادية وإثارة الفتن وما إلى ذلك.

ثم يلي ذلك إن أريد حسن الاختيار يجري التأكد من أن الأسرة المرغوب في مصاهرتها ليست ناشئة منشّأة على حب المظاهر والسطحية والبذخ والإسراف وتقييم الإنسان بملبسه ومسكنه ومركبه وإنما يثمن الإنسان بدينه وخلقه وأفكاره ومبادئه ومطابقة قوله لفعله. ولا يعني التقليل من شأن الملبس هنا التقليل من شأن النظافة؛ وإنما التقليل من شأن ثمنه ومظهره الذي قد يكون أحد عوامل تقويض اقتصاد المنزل بل وأخلاقياته حيناً من أحيان، وهذا بالتالي يؤثر على المدى البعيد على اقتصاديات الوطن ذاته، وقد يذهب ثمن الإسراف والتبذير إلى مسالك وأيدي ثم منها إلى أيدي أخرى معادية لمن دفعوا الثمن الأول فتقوى بهذا الثمن درجة عدائها وفعالية آثاره. فهم بذلك يخربون بيوتهم بأيديهم، ويساعدون بأموالهم من يقتل أهلهم وأخوانهم؛ بسبب ضعف بصيرتهم وسطحية تفكيرهم.

ولذا فالتخيّر للنطف من الصعب أن نفهم منه ما يناقض ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وإنما نفهم منه ما ينسجم مع هذا المعنى.

ومن جرّته قبليته للافتخار وأنها الجديرة لذاتها بالاختيار فقد نسي أن الله سبحانه لا يحب كل مختال فخور، وأنه بذلك لن يخرق الأرض ولن يبلغ الجبال طولاً!. وأن مربّي الأمة ومعلمها ﷺ قال: «من كان في قلبه مثقال حَبّة من خردل من كبر كبه الله لوجهه فى النار»

والافتخار نوع من التنفّج والكبر وضرب من ضروبهما أو قد يؤدّي إليهما على أيّ نحو.

وقد قال تعالى: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوْا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنّهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ (١٨٨) سورة آل عمران.

والعجيب، وما أكثر العجائب في زمن العجائب، حتى صارت لكثرتها وكثرة محدثيها لا تثير العجب، وإنما يثير العجب من يعجب منها ومن لا يعجب بها! العجيب أن الله سبحانه يعطي الناس نعمة المساواة فينبذونها على طريقة المثل القائل (خذ خيراً قال: ما معي له ماعون)! ولو لم يعطهم إياها لألحوا في طلبها. لأن إزالة الفوارق إزالة لمشكلات اجتماعية عديدة. أما الابقاء عليها فهو مثل إضافة (أرصدة) متعبة كبيرة من المشكلات إلى (الأرصدة) الأخرى الخبيثة من المشكلات التي تصرف عن السعي السليم والدأب النافع وتشغل عنهما بالمعالجة، وهي كأرصدة البخيل التي تتعبه ويتعذب بها في الحياة الدنيا، وتلحقه تبعاتها في مستقبل ما بعد الحياة الأولى الذي لم يخطط له في زمن يؤمن بالتخطيط للمستقبل ولا يفعل.

إن من يتصور أنه حصل على ميزة من الفرقة لا نقمة كمن يعتقد أنه ثري لكثرة ماله عددياً، ولكنه كالعبد له لا كالسيد، يشقى من أجله ولا يسعَد ولا يُسعِد به.

والرسول الصادق الأمين ﷺ يقول: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» متفق عليه.

ولقد ذكر ﷺ عادة الناس، ولم يورد الأربع حثًّا عليها، وقد أورد الدين آخرها لأنه موضع اهتمامه، ونقطة تعليقه، فقد قصر عنايته وحثه على الرابعة فأمر بانتهاز الخير، وانتقاء الأحسن وهو الدين، وهذا مما يدل على ويستنبط منه أن النسب أو الحسب وكذلك المال أو الجمال ليس مما يرغب الإسلام في اعطائه أهمية أو أولوية، بل الدعوة إلى غيره دعوة لإطراحه من الأسباب كدافع إلا إذا جاء عرضاً، أي لا يقدم الشاب على الزواج من أجل النسب، ولا يعرض عن المرأة لأنها ذات نسب، أي لا يكون النسب سبباً في الإقبال أو الإدبار.

وإن بحث الفقير عن المال بعد الدين أو بحث الشاب عن الجمال بعد الدين فذلك أهون من البحث عن الحسب والنسب الذي قد يكون حائلاً دون اقترانه بمتدينة جميلة يحب في أهلها السلوك القويم والأخلاق الحميدة والتدين الصادق النزيه. وما الاهتمام بالنسب إلّا دعوة من دعاوى الجاهلية، والقبول والامتناع من أجله يعني عدم التقيد بقول المرشد

الهادي بإذن ربه ﷺ «فاظفر بذات الدين» حيث لم يجعل الشاب الدين وحده هو المتفرد بالظفر وأسبابه.

وإذا وفق الله الشاب وقرر إتباع قول المصلح الإجتماعي ﷺ «إتخذوا الأهل فإنه أرزق لكم» فمن الواجب ألّا يكون النسب أحد الشروط، وإنما التقوى والصلاح والمنبت الحسن والعادات الحميدة والطباع القويمة والأسرة المستقيمة.

والرسول ﷺ زوّج زينباً إلى زيد رضي الله عنهما، ولا يمكن أن ينظر مسلم يتقي الله نظرة بعض الغربيين وبعض المستشرقين، وبعض أتباعهم وذيولهم ممن أجسامهم أو «جثثهم» هنا في الشرق، وعقولهم صبغت بصبغة التفكير الغربي الشاذ في محيط الشرق. وهو الذي لا يؤمن بحضارة إلّا حضارته المادية، ولا يرى أسلوب فكر سوى أسلوبه في التفكير، ويظن أن حياته الاجتماعية ونظمها هي المثال والمقياس لحياة البشر رغم أن ذلك فيه ما فيه من ضيق الأفق ومحدودية المعرفة والتصور والثقافة والبعد عن الإعتدال والتبصّر المنطقي.

وزينب رضي الله عنها هي ابنة عمة رسول الله ﷺ، من بنات سادات قريش وأعلاهم نسباً، جدها عبد المطلب، وزيد رضي الله عنه مولى أعتق (قصير، أسمر، أفطس الأنف) (٦) زوجها الصادق الأمين استجابة لأمر ربه سبحانه المنزل في هذا الشأن قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله

ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعصِ الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً﴾ (٣٦) سورة الأحزاب.

نعم، فقد ضل ضلالاً مبيناً إذا عصى الله ورسوله، ولعل الله سبحانه أراد التشريع بأقوى أساليبه وهو التطبيق والفعل.

ويطلقها زيد بن حارثة رضي الله عنه فيتزوجها رسول الله ﷺ بعد مولاه، أي أن خير البشر يتزوج سيدة من قريش بعد أن دخلت زوجة على مولاه بكراً، وخرجت من عنده بعد حين مطلقة، وقد قضى منها وطراً، ولعل في ذلك دروساً أخرى تستفاد من كامل القصة لمن أراد التبحر فيها، لكنها ليست ذات صلة مباشرة بموضوعنا هذا.

فماذا بعد الحق إلّا الضلال؛ إن زيداً هذا لهو الوحيد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين الذي ذكر اسمه في القرآن الكريم وقد يُقرأ اسمه في الصلاة والتلاوة ويردد، وفي ذلك تشريف له؛ بينما أحد سادات قريش وكبرائها ورد ذكره في القرآن الحكيم للتقريع والوعيد والتقليل من شأنه فتبت يداه وسيصلى ناراً ذات لهب.

ومما قال ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه، إلّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض» رواه الترمذي وأحمد. (٥) ص ٣٣٢، وبلفظ «فزوجوه» (٧) جـ ١١ ص ٤٦٥.

إن الأمر صريح (فانكحوه) وللإهتمام به لم يكتف بالأمر بل

أوضح المعلم ﷺ ما يترتب على المخالفة، وهل يمكن أن يحدث ما يخالف قول الرسول ﷺ المؤتمن على الوحي والرسالة، والذي لا ينطق عن الهوى؟! وهو المثل الأعلى من ربه للبشر، إن من يؤمن ويصدق بأمانته وصدقه وصحة قوله، ويخالف ما أخبر به إنما يعيش حالة تضارب وتناقض واضطراب وتعارض نفسي خطير هوته سحيقة، وسيحصل له وبه ما توقعه نبي الهدى إمام المسلمين ويعمّ الشر مجتمعه، وما أغبى من يُنذَر وهو يعلم صدق الإنذار وما انطوى عليه ومع ذلك يكابر أو تأخذ منه اللامبالاة مكانها الذي لم تكن تتوقعه لأنه ليس لها. إن صفة الغباء هنا ليست من «قلة أدب الكاتب» وإنما هي صفة أوجدتها الحالة.

ما أكثر حمق وجبن وتعصب وشرود أو تهرب من يقول: صحيح «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه» لكن ولو..!! فماذا يا ترى أخذه في الحق؟! ولماذا يتشبث ويتبنى المبدأ المذموم والعناد الممقوت (عنزة ولو طارت). إنهما تحذيران صريحان: ﴿من يعصِ الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً﴾ «إلاّ تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض».

فما موقفنا قبيلية وغير قبيلية منهما لنكون مسلمين مؤمنين صادقين طائعين غير عاصين، مسلِّمين غير خارجين، راضين غير رافضين، نصلح أنفسنا قبل أن نصلح غيرنا.

ولا مجال للتعليل والتأويل إذا جاء صريح الدليل تلو الدليل

فتحت عنوان «في الكفاءة» من كتاب جامع الأصول (٧) جـ ١١ ص ٤٦٥ وردت أحاديث مرشدة منها:

«. . . قالوا: يا رسول الله وإن كان فيه؟

شرح المؤلف مرادهم بقوله: أي شيء من قلة المال أو عدم الكفاءة، قال: إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه، ثلاث مرات» أخرجه الترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه (أن أبا هند حجم رسول الله ﷺ في يافوخه، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا بني بياضة أنكحوا أبا هند، وانكحوا إليه، قال: وإن كان في شيء مما تداوون به خير: فالحجامة» أخرجه أبو داؤد ص ٤٤٦.

«إن أحساب أهل الدنيا الذي يذهبون إليه: المال» أخرجه النسائي.

«وعن عائشة رضي الله عنها أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكان ممن شهد بدراً مع رسول الله ﷺ تبنّى سالماً وأنكحه بنت أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة وهو مولى لإمرأة من الأنصار».

وزاد رزين «فأنكرت قريش فعل أبي حذيفة، وقالوا: أنكح ابنة أخيه مولى، فقال: ما أعلم إلّا أنه خير منها، فأعجبوا من قوله أشد من عجبهم بفعله. . .» ص ٤٤٦ ـ ٤٤٨.

وقد وردت «أعجبوا» هكذا، ولعل| المراد فعجبوا.

«لا ينكح الزاني المجلود إلاَّ مثله» أخرجه أبو داؤد ص ٤٤٨.

(وخضراء الدمن) التي حذرنا منها إمامنا ونبينا الصادق ﷺ هي المرأة الحسناء في منبت السوء، ولا علاقة لها بمسألة القبلية فمنبت السوء يتعلق بالأخلاق والطباع والعادات.

وهارون الرشيد رحمه الله تخير لنطفته من حيث الدين والخلق لكنه لم يتقيد بقيود عرقية فولد له الولدان المعروفان: الأمين والمأمون، وتاريخهما معروف مثلهما. والرشيد هو المجاهد الصالح الذي يقوم الليل أو بعضه في صلاة ويحج عاماً ويجاهد عاماً، وليس ما أراد أعداء الإسلام من صليبيين ويهود ومشركين طبع صورة مشوهة له في أذهاننا لكيلا يكون قدوة في صلاحه.

وأما ذكر الرسول ﷺ لنسبه فلا يفهم منه الافتخار والاستعلاء بدليل ما ورد عنه من أحاديث، وما ورد عن طريقه من آيات تبين مساواة الناس وأن المفاضلة تنحصر في التقوى، ويبدو ـ والله أعلم ـ أن ما عناه ﷺ عندما تحدث عن نسبه هو القول بأنه من خيارنا، شريف النسب، معروف القبيلة، ومع ذلك فلا يعني عنده النسب شيئاً، لكيلا يقول قائل: ربما لم يقم وزناً للنسب يصل إلى ما وصل إليه عند العرب في جاهليتهم لأنه غير منتسب، فوضح رسول الله ﷺ ما يبعد هذا الاحتمال، ويزيل هذا الشك، مثل أن يقول متحدث: إني

أعارض بتر وشطر وتمزيق الجماعات وتفريقهم إلى قبيلي وغير قبيلي؛ لا لأني لست من قبيلة معروفة أو مشهورة، فأنا ابن فلان من آل فلان من القبيلة الفلانية المعروفة نسباً وتاريخاً، ولكني أعارض ذلك لأن الإسلام يعارضه، وكما يقول الشاعر في شطر بيته:

أبي الإسلام لا أب لي سواه

وكما قال الآخر:

ومن تميم ومن قيس وغيرهما
ليس الأعاريب عند الله من أحد

ومن لم ينفعه عمله فلن يقربه عند الله نسبه، أو كما قيل في الأثر بهذا المعنى. يؤكد هذا حديث أن أبا هريرة رضي الله عنه قال قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل ﴿وانذر عشيرتك الأقربين﴾ قال: «يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً» صحيح البخاري جـ ٢ ص ١٢٨ (٨) كتاب الوصايا.

وهذا هو المنطق المقبول شرعاً وعقلاً إذ كيف يفضل المرء

أخاه بأمر لا جهد له فيه ولا خيار، ولا أهمية له، ولا استثناء إلّا ما استثناه الله جلّ شأنه كالتفضيل في النبوة، وفي الرزق، وفي الأمومة، وفي القوامة للرجل.

والغـرب (المتحضـر) يعـاني من مشكـلات الفـروق الاجتماعية، والتمييز العنصري، فالأبيض ذو العيون الزرق يرى أنه فوق بقية البشر، وخاصة الملونين، وبالأخص السود، والمرأة في الغرب يتغير إسم أسرتها إذا تزوجت إلى إسم أسرة زوجها وكأن العملية إجراء (نقل مُلْكيّة)، ولا يحق لها دينياً أن تمتلك ممتلكات، خلافاً للإسلام الذي يحفظ لها اسم أسرتها ويجيز لها التملك، ولها الحق في التوكيل، وفسخ الوكالة متى أرادت والتصرف التام في شؤونها المالية، ولها الحق في الخلع بشروطه، وفي الطلاق إذا اشترطته عند عقد النكاح، ولها حقوق ليس هذا مجال حصرها وذكرها والبحث فيها وعنها.

ولذا فأكثر ما يعجب به الغربيون إذا عرفوا الإسلام هو مساواته وحرصه على الحقوق والكرامة الإنسانية، وأنه لا يفوق أحد سواه إلّا بعمل يستحق به التقدير أو لحكمة وقصد نافع الله سبحانه أدرى به وبعواقبه، ولذا فشعار النصارى المحبة، أما شعار المسلمين فهو المحبة والعدالة.

ولقد كنت وأسرتي في يوم ما في رحلة من ولاية أُوريقن في أمريكا إلى فانكوفـر في كندا، وتعرفنا على أسرة مسلمة أصلها

من جزيرة (فيجي) في المحيط، وهي أسرة غنية جداً، ومتدينة محافظة لها بنت في سنِّ الزواج أو أوله، تدرس في نهاية المرحلة الثانوية، وتجمع بين الجمال والذكاء، وزينة العفة والاحتشام، منذ دخلنا منزل الأسرة وهي تقرأ القرآن غيباً على أهلي في غالب الأحيان وهم لا يتوقعون إلاّ أن كل مسلم عربي يحفظ القرآن الكريم لأنه الدستور المرجع، والمتعبد به صباح مساء، وهو ـ كما يسمعون ـ لسان العرب الذي يقوّم ألسنتهم، ويجوّد لغتهم، ويحسِّن بلاغتهم ونطقهم وتعبيرهم وأمثالهم بل وأفكارهم وسلوكهم.

قالت البنت: إنها تحاول أن يهدي الله بعض زميلاتها للإسلام، فهي داعية قولاً وفعلاً وقدوة، وقالت: إنها حققت بعض النجاح، ولكن يؤلمها أن زميلة لها عربية تنفر منها لأنها مسلمة محتشمة، وتلك العربية يظهر من جسمها ما يعتبر عورة حتى عند الرجل، ومقياس الرقي عندها في مقدار درجة التفسخ والانحلال الذي له مسمى آخر في الغرب وعند أتباعه وأذنابه! ولو أن التحشم مدنية الغرب لصارت تلك الفتاة العابثة أول أتباعه الآخذين به!!

والد البنت المحافظة يعمل في بناء السفن، ودخله كبير، قال الوالد: إن ابنتي ستتخرج قريباً، وأود كما تودّ هي أن تدرس في البلاد الإسلامية، إني هنا بخير، كما ترى، ولكني أود أن أكون في بلدان الصحابة رضوان الله عليهم، أود أن

أكون في بلدان لا تتحاسد ولا تنم ولا تغتاب ولا تسرق ولا ترتشي ولا ترابي ولا تقامر ولا تكذب ولا تزني، ولا تنافق الخ... أود أن أعيش في مجتمع يسترشد بمجتمع وحياة الصحابة، والغالب عليه حسن المسلك المنبت للطمأنينة والعيش الرغيد السعيد، والشاذ النادر مما يخالف الواقع لا حكم له.

ما أعظم الشوق لمجتمع لو نامت فيه البنت عارية في وسط الشارع ـ لا قدر الله ـ لم يخشَ عليها خطَر ولا ضرر، الكل يرى أنها ابنته في الإسلام، أو أخته في الله، لا فوارق اجتماعية ولا درجات طبقية، ولا فروق للّون أو الجنس أو النسب، تستطيع أن تسير في الشارع وفي يدك خمسة آلاف دولار ولا تخشى من اللصوص. كان مؤثراً في السامعين مشوقاً لهم، قلت له: تستطيع أن تسير وفي يدك خمسمائة ألف أو أكثر ما دامت الشريعة السماوية مطبقة بصدق ونزاهة وإخلاص، والحضارة! (والديمقراطية)! والحرية الغربية لم تداهم معتقداتنا ومثلنا وقيمنا ومجتمعنا السليم.

كان حديث الأب، الشبيه بالمحاضرة موضوع حديثنا في العودة وعرفت أن الإعجاب بالإسلام لإزالته للفوارق، ومساواته للبشر الاّ في التقوى والأعمال الصالحة، هو أول ما يعجب الغربي المعاني من التقسيمات الاجتماعية الظالمة، والتي لا تستند إلى مبرر يقبله العقل ويستوعبه الفهم عن اقتناع.

لكن واقع المسلمين يقرر أنهم لم يتقيدوا بإسلامهم في هذه الناحية المهمة عن عدالة الإسلام، فالنصرانية ـ كما أسلفت ـ محبة فقط، والإسلام محبة وعدالة، وليس فيه ما يشبه فكرة اليهود عن (شعب الله المختار) وخشيت أن يعلم الغربيون مسلمين وغير مسلمين بمثل قضية قبيلي وغير قبيلي، و«الإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس».

فهلّا تداركنا أنفسنا بالخلاص من الإثم والخروج عن النهج، وبالانعتاق مما لا يجتذب تقدير الإنسانية العالمي واحترامها واعجابها مما هو موجود في سلوكنا، مفقود من ديانتنا لعدم صلاحيته وجدواه.

ما موقفهم من الداعية؟ وما موقف الداعية؟ وما مدى الصدق؟ لو وجد الناس فينا ما لم يتوقعوه منا ونحن في منبع الرسالة، ومهبط الوحي، وأرض الحرمين الشريفين، وموقع المسؤولية الأكبر نحمل كلمة التوحيد.

إنهم يحسون بعيب ونقيصة العنصرية فيهم رغم أنها لم تصل إلى حد منع التزاوج بينهم، فكيف إذا عرفوا أن مجتمعاً إسلامياً تتجاور فيه الأسرتان مئات السنين ولا تتزوج إحداهما من الأخرى، وقد يتزوج كل منهما من أقاصي الدنيا!!

إن مشكلة الإنسان منذ الأزل، وهي التي تجعله غير منصف، أنه يعرف ما له ولا يعرف ما لغيره، ويعرف ما على

غيره ولا يعرف ما عليه، وأنه يهوّن خطأه ويبرره، ويضخم خطأ غيره ويهوّله، وكما يستوحى من المثل، قبة خطأه مجرد حبة، وحبة خطأ غيره تصبح قُبَّة و.. «طوبى لمن شغلته عيوبه عن عيوب الناس» فأصلحها أو حاول، وجزى الله بالخير من قال: «رحم الله من أهدى إلينا عيوبنا» ورضي الله عن عمر بن الخطاب البادىء بها.

ولو وقع في هذا الخطأ غيرنا وسلمنا منه لاستشهدنا صباح مساء بالأيات الكريمة، والأحاديث المطهرة العديدة التي تستنكره وتدعو لاجتنابه.

ولكن ما الحلّ؟. الحلّ عند الحلّال جلّ جلاله، الحلّ في القرآن الحكيم والسنة القويمة وما دعيا إليه اتباعاً لهما لا ابتداع فيه.

وتطبيق الحل والأسلوب والنهج والخطة تستوحى من أسلوبهما في مثل تحريم الخمر التدريجي، والتخلص من الرِّق والاستعباد بتصعيب الشروط والتشجيع على الخلاص منه والحث على الاعتاق، وتعديد محاسنه وحسناته.

إذ لا يتوقع ما بين غمضة عين وانتباهتها أو في يوم وليلة أن يقول الناس جميعهم أو أكثرهم: لا قبيلي وغير قبيلي، كلنا مسلمون إخوة في الإسلام، عدنا إلى كتاب الله وسنة نبيه، عدنا إلى أنظمة دستورنا الرائع لنتقيد بها ونسير في هداها.

ولكن يمكن مبدئياً ـ لمن لن يفعل الأفضل ـ يمكن الابقاء على القبلية كنسب يتبع الوالد (الأب) فقط، فإن كان الأب غير قبيلي والأم قبيلية، فالأم حسب سير الأمور، وسنة الحياة لا يحفظ عن طريقها النسب، ولكن سيحدث التقارب والتراحم فأولاد غير القبيلي أعمامهم غير قبيلية، وخؤولتهم قبيلية.

والمرأة على أي حال مزرعة لنطفة الرجل، يقول الشاعر:

لا تـزريـن فتى مـن أن يكـون لـه
أم مـن الـروم أو سـوداء عجـماء
فـإنمـا أمـهـات الـنـاس أوعـيـة
مـسـتـودعـات ولـلأولاد آبـاء

(٩) ص ٣٧ جـ ١

وإذا كان الأب قبيلياً والأم ليست كذلك، فلا دخل للأم في ذلك، ويبقى الإبن قبيلياً يتبع والده، وعمومته قبيلية وخؤولته غير قبيلية، وإذا كثرت الحالات صارت عادية. وجرّت إلى المرحلة الأفضل.

وبهذا التداخل المرحلي تتقارب الأسر وتتصاهر، وتمحّى الفوارق شيئاً فشيئاً، وتلتئم العظام، ويبرأ الجرح، ولا يبقى من النسب إلا المشروع منه وهو ما يوصل به الرحم. ولكن الطبقية الاجتماعية، والمشاعر اللاإسلامية تأخذان سبيلهما في

الانصراف والزوال قليلاً قليلاً حتى يغرب المحظور ويتحقق المأمول.

وهذا هو الطبيعي المنطقي، إذ من الحماقة، وبُعد الرأي عن السداد، وضياع العقل الذي (يرى حسناً ما ليس بالحسن) أن تتجاور أسرتان من مائتين أو ثلاثمائة سنة أو أكثر أجداداً وآباء وأولاداً وأحفاداً، وكل أسرة تثني على أختها في دينها وخلقها بل وفي جمال بناتها وعفتهن وشهامتهن وشيمتهن وخفرهن ومع ذلك فقبيليهم وغير قبيليهم لا يتصاهران، ولكنهما كليهما قد يصاهران أسرة من الخارج تعيش في مجتمعات موبوءة مشبوهة، ولا يعرف جدها الأول أو الثاني، ولا أين تعمل أخت الزوجة ولا من اقترنت به إن كانت متزوجة.

وقد يصاهران «أسرة» غربية إن كانت أسرة، بنتها تؤمن بالحب والممارسة قبل الزواج، والتجربة قبله طبع مشروع لديها، وغالباً ما يكون زوجها قد عمل معها ما لايرضى الله قبل الزواج، وقد سبقه آخرون معها! ومع ذلك يصبح ولدهما قبيلياً لأنه يتبع والده ولا يحس الوالد بجسامة الكارثة، وفداحة الخطأ، إلاّ بعد أن تتقدم به السن، وينضج، ويبلغ غاية نمو رشده و(تذهب السكرة وتأتي الفكرة) أي تخف المشاعر والدوافع الجنسية كسبب وتأتي المشاعر الإنسانية والمودة والرحمة والأبوة والبناء الإجتماعي، وحينذاك يعض على أصابع الندم، لكن العودة للتصحيح غير ممكنة.

والمشكلة تصبح أكبر وتمسي أقسى لدى الأولاد حيث يلاحظ ذلك في مسار تربيتهم، وانفصام وتضارب مشاعرهم وانتماءاتهم، وعدم عيشهم مع خئولة وعمومة متعارفة متآلفة منسجمة.

ثم أليس في قصة الشاب الشرقي الذي تزوج إحداهن عبرة وموعظة وتوعية، الشاب الشرقي تزوجها ورجع بها وبشهادة دراسية عليا واستقبله في المطار أخوه الكبير وأصدقاؤه وأصدقاء أخيه الذين كانوا يدرسون معه، وتخرجوا جميعاً قبل أن يأتي الشاب الشرقي ليدرس بعدهم في نفس المكان، وعندما خرج الشاب الشرقي ومعه زوجته الغربية من صالة الجمارك والجوازات، فوجيء الأخ الكبير وزملاؤه بفلانة، وقالوا: للشاب الشرقي، معقول أن تحضر معك الشهادة. ولكن لماذا أتيت بهذه معك؟ فقال الشاب: مفاجأة، لتكمل الفرحة، لقد تزوجتها. وأسقط في يد أخيه ومحبيه من أصدقائه وواجهوا حالة نفسية بئيسة حادة وشعوراً مؤلماً معذباً؛ ماذا يفعلون، وهم يعلمون جميعهم أو أكثرهم من هذه القادمة التي يعرفون عنها أو بعضهم (بعمق) الشيء الكثير.

أي الأمرين أهون، وأقرب إلى العقل وقبل العقل الدين!. ولا تعارض بينهما الاّ لدى من لا يملك أياً منهما وإن توهم خلاف ذلك.

أليس القبيلي أو غيره يتزوج أو بالأصح يتسرر أمة لا يعرف نسبها فيصبح ولدها منتسباً لوالده وقبيلته.

إن الله سبحانه يقول: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ (٢٩) سورة الفتح. وفي آية أخرى ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكـفرين﴾ (٥٤) سورة المائدة.

فهل الزواج من الأجنبية الكتابية ـ ولا اعتراض على ذلك إلاّ مقارنة أو لأسباب اجتماعية واقتصادية ـ هل يتمشى مع روح هاتين الآيتين في سلوك من لا يتزوج ابنه جيرانه أو بلدته لأسباب قبلية أو شعوبية معينة، أو إقليمية أو أي نوع من العصبيات الجاهلية التي بذرها الأعداء وتواصلوا وتتابعوا في اشعالها واحيائها كلما أرادوا غزونا أو الابقاء على آثاره وعقابيل تدميره لنا. أين التراحم والتواد إذا أغلق باب التزاوج بين الجيران وأولاد الحي الواحد إلى الأبد، ولكنه مفتوح من مشرق الشمس إلى مغربها!! أين تآخي وترابط أهل القبلة!! أهل أركان الإسلام الخمسة! وهل هذا منه؟!.

ألسنا نساعد بهذا أعداءنا، ونخالف إرشاد سبب نصرنا وعزتنا ومنعتنا؟ صدق الشاعر إبراهيم حسن إبراهيم حين قال:

كفكف دموعك، ما أضا ع الحق إلاّ من بكاه
(١٠) ص ٣٢٩

فكيف نفتح ثغرات في مجتمعنا المحتاج إلى قوة التماسك وصلابة الترابط، ومتانة أواصر الأخوة والصداقة، وخاصة مع بزوغ شمس النهضة الإسلامية المعاصرة التي تحتاج إلى وحدة الأمة لتهزم العدو المنتصر، وكلما كانت الصحوة متنبهة، واليقظة واعية كلما صارت الأيادي متماسكة والأواصر مترابطة.

إذاً، علينا (الا نجرع البعير ونغص بالماء) كما يقول المثل، وعلينا أن نكون مسلمين أقوياء، صادقي الإيمان، محسن الإسلام، فنقدم العقيدة على التقليد والتقاليد، ونناصر الإسلام وتعاليمه ـ وهو ناصرنا بإذن ربه ـ على الجاهلية وعاداتها.

وقد يكون الشخص ذا فكر عبقري فإذا بدا منه التعصب الأعمى سقط من العين.

ولربما يقول قائل: ولكن، من سيقدم على هذا، والجواب: أنه قد حصل الإقدام فعلاً، لكن الناس في هذا الشأن يصنّفون إلى ثلاثة أصناف:

الأول: قلّة هي الشجاعة التي تُقْدم فعلاً واثقة من نفسها ومن مستندها.

الثاني: بعض من ليست لديهم الشجاعة الكافية، ولكنهم

مقتنعون بالفكرة ويؤيدونها، وهؤلاء لهم دورهم في الدفاع عنها وترسيخها ونشرها وتعضيد من أسعفتهم الشجاعة من آباء وأزواج بعد مشورة الزوجة.

الثالث: من يرفضون إلاّ التمسك بما هم عليه من جاهلية يمقتها الإسلام، وهم من ينقادون للتقاليد والعادات ولو كلفتهم الشيء الكثير مما خلقوا من أجله.

ولهؤلاء الدعوة والدعاء بأن يهديهم الله ويبصرهم وينير بصائرهم. فلنكن من الفئة الثانية التي تدعم الأولى وتغذيها قوة وعدداً، إن لم تكن بادىء ذي بدء من الأولى الحاصلة على تقدير (ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى)! لأنها لا يهمها في الرباط الإنساني (الزواج) إلا الدين والشرف، والشرف من الدين.

وما أقل من أن نكون مع الأولى إن لم نكن منها.

وأعتقد أن الفئة الثانية لا تمانع في إعطاء وعدها للفئة الثالثة بأنها متى تحولت الثالثة إليها فإنهما معاً سيصبحان من الفئة الأولى، وبذلك تكون الأمة فئة واحدة وحزمة متماسكة أكثر وأكثر.

ولعله يجدد ويؤكد منع الزواج من الخارج لأنه وبال على نسائنا. وأي بيت يخلو منهن؟ وإنهن لمصابيحه، ووبال علينا الزواج من الخارج وعلى مجتمعنا ومستقبلنا، فإذا صار الزواج من أكثر من واحدة قد قلّ، والشباب صاروا يتأخرون عن

الزواج في حينه لأسباب منها ما هو متصور، والزواج من الخارج تحت شعار وادعاء غلاء المهور ـ ولا صحة لـذلك عموماً ـ قد اجتذب الكثيرين الذين لا يتحققون مما يشاع، وغلاء المهور ليس عاماً فلماذا الخطبة من مُغلي المهر؟ ولماذا الانصراف عن الزواج حتى من البنات الملتزمات الراشدات الرشيدات ممن لديهن الاستعداد للسير مع الزوج الفتى منذ بداية مسيرة الحياة بما فيها من كفاح وشظف عيش، والارتباط به ومعه منذ أول السلم وبناء عش الزوجية في تعقل ورزانة واقتصاد مدبِّر وبساطة وثقة وفلسفة حياتية صائبة.

وقد يغيب عن ذهن المتزوج من الخارج أمران إن سلم من الأول لم يسلم في الغالب من الثاني، فالأول: أمانة الزوجة على ماله موضوع بحثنا الآن، الثاني: إن صارت أمينة فهي تحتاج إلى مصاريف دورية استثنائية لتذاكر سفر زيارة أهلها وهداياها لهم، وهذا مهر يتكرر، وليس كمهر بنت البلد الذي (كبيضة الديك) مرة في العمر كما تقول الأقاويل.

ومن أمارات تلاعب قلة من الشباب بادعاء غلاء المهور مصاريف رحلاتهم للخارج التي لو جمعت خلال أقل من ثلاث مرات لغطت نفقات الزواج الذي ثمنه فيه، وليس صرفا على الأوبئة وأوعية الصديد وبُؤَر الزهري.

إن المظلوم في هذه الأمور هوَ بناتنا الخيّـرات اللواتي نصف

المجتمع يحرم ذكوره من التفكير أو الإقدام للاختيار منهن كما يحرمن من إقدام أي واحد من نصف شباب المجتمع للاقتران بهن على سنة الله ورسوله.

إن من الواجب أن يشعر كل فرد بمسؤوليته أمام الله سبحانه ثم أمام المجتمع الذي ينتمي إليه والضمير الذي لم يأخذه سهو ولا غفلة نحوهن ونحو أبناء أمتهن.

كيف يكون ذلك؟ إنه بأن نوسع رقعة الخيار والاختيار داخلياً ليجد كل شاب وشابة بان نصف المجتمع لم يغلق الأبواب في وجه التفكير في الزواج منه. إن المشكلات لا تحل نفسها، ولكنها تبحث عمن يتعرف عليها ويسعى إلى معالجتها.

لقد كان بعض المجتمع يمقت بعض الصناعات والأعمال اليدوية المهنية كحرفة، وكان ـ لجهله ـ يموت جوعاً ولا يشتغل صانعاً! وكان بعض الحرف الممقوتة تتسم بالنظافة و(الفنية) والحاجة إلى الموهبة والابداع مثل النجارة، ومع ذلك يعمل بعضهم في حرفة أخرى أقل منها نظافة، ولا يعمل نجاراً اشمئزازاً وشموخاً، وتغير الزمن وتغيرت الأحوال فصار الصناعي والمهندس والحرفي في مقدمة المقدرين لدى جميع الناس، وهذا ثمرة الوعي والثقافة والعلم.

وسيأتي يوم يسخر فيه أهله من مسألة الزواج من أجنبية لا تعرف هي ولا أسرتها وسيرتها، وعدم الزواج من ابنة جيران يتفقون مع ابن جارهم وأهله في الدين والشرف الرفيع والسيرة الحسنة، والكرم، وحسن الجوار!!

وإذا كانت جهات إسلامية إنسانية خيرة كدار الافتاء أو جمعيات البر تساعد الشباب على الزواج ولنقل افتراضاً بعشرة آلاف ريال مثلاً، فليتها تكون مع اضافة خمسة آلاف أخرى مثلاً إليها إذا كان طرفا الزواج أحدهما قبيلياً والآخر ليس كذلك.

وإن كانت تعين بعشرين ألف ريال مثلاً فحبذا لو يضاف إلى المبلغ ٥٠٪ أو ٢٥٪ أو أقل أو أكثر لمثل هذه الحالة.

وبذلك يأتي التشجيع إسلامياً إصلاحياً علاجياً وقائياً وتزداد أواصر القربى والتمازج المشروع المحبب. وتمتن روابط الإخاء والصفاء والنقاء والوفاء للدين والأهل والوطن والأمة.

إن مسألة أو معضلة قبيلي وغير قبيلي ما هي إلا زيادة تعقيد وقيود في وجه وجود الزواج؛ وعجباً لمن يثقل كاهله الحمل والمشكلات فهو بدلاً من أن يخفف منها إذا به مع شكواه من الاجهاد يضاعفها ويزيدها؛ والمشكلات تريد الحلول والتذليل لا مضاعفة العقبات وتراكم التعقيدات وزيادة الأحمال. وكل

إنسان مهما كان نسبه وعاش في أوهام حسبه معنىً بقول العربي الحكيم الواقعي: (أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو بين ذا وذاك يحمل العذرة) وما للتراب سوى التراب. يقول الشاعر:

عجبت من معجب بصورته ... وكان بالأمس نطفة مذرة
وفي غدٍ بعد حسن طلعته ... يصير في اللحد جيفة قذرة
وهو على تيهه ونخوته ... ما بين جنبيه يحمل العذرة

(٩) ص ٢٣٤ جـ ١

وكلا الاثنين القبيلي وغيره صامتان ساكتان منصرفان عن تحديد المشكلة وحلها، مدبران عنها، فالقبيلي يتشبث بضعيف الأدلة أو مرجوحها، أو أنه متعصب بلا تفكر ولا تدبر، أو يريد امتيازاً لا جهد له فيه، أو متخوف من اعتراض من حوله، وغير القبيلي غير مبال، أو يخشى أن يتوقع أنه لم يدع دينياً واجتماعياً لنبذ الفرقة إلاّ لأنه ليس قبيلياً، بدليل أنه لم يتحمس لا هو ولا غيره بما فيه الكفاية لمعالجة المشكلات التعصبيّة الأخرى مثل (الوساطة والمحسوبية) التي قد تنخر في عظم المجتمع إذا استشرت، وتتطلب مكافحة وقائية وعلاجية، والدولة تحث عليها ما دامت معالجة تبحث عن الصحة وتزيل السقم، وتترسم خطى قوله ﷺ «من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»

وقوله «من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمّر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً» (٥) ص ٤٦٣.
والدولة الإسلامية تدرك أن هذا الفساد قد يجرّ إلى مفاسد أخرى منهكة أو مميتة وقد لا يهتم غير القبيلي بالأمر ليقول أنه لا يحس بأنها أي القبلية مشكلته وحده ولكنها مشكلة الاثنين.

وبين هذا وذاك بقيت مشكلة الفروق القبلية العرقية بدون محاولات علاج، رغم أن مجتمعنا يتميز بأنه رزين متعقل، حكمة شيوخه يحترمها شبابه، ورغم أن المشكلة لا تقبل صفة أخرى إلّا أن آثارها لم ترتسم على علاقات الناس خلافات، وإنما كل منهم يعذر الآخر ويتغاضى عن سيئاته ويتمثل بالمثل القائل (من عدّ زلات الصديق جفاه).

وليس في بحث الموضوع إثارة، ولكن فيه محاولة معالجة وتوجيهاً وإرشاداً وفتحاً لباب التشاور وانتقاء الأجدى، لكيلا يأتي زمن تتغير فيه الطباع فتبرز المشكلة مشعرة بالخطأ في التأخر عن معالجتها وتطبيبها. وصحة المجتمع مثل الطفل تحتاج التغذية والتربية في وقت مبكر.

وقد يتخوف من يطرقها أو يفكر مما يسمى بالحساسيات، ولكن الزمن تغير، وطبيعة التفكير والتعامل والعلاقات كذلك، وأصبح التعليم المنتشر سبباً في سعة الآفاق، وحسن الفهم والتفهم والتفاهم، وأصبح المنهج السليم هو البحث ـ بتروٍّ

وحسن نية وصدق رغبة في الإصلاح - عن أدوية ناجعة تحقق الشفاء بإذن الله أعدل العادلين. وكيف يخشى من حساسيات القول، ولا يُخشى من آثارها ودمارها واستشرائها بالفعل والتطبيق والممارسة!

والله الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على محمد النبي الأمي الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

نقاط ذات صلة

● قال ﷺ: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منّا من قاتل على عصبية، وليس منّا من مات على عصبية» رواه أبو داود.

● كان نبي الله زكريا عليه السلام نجّاراً، وداؤد نبي الله عليه السلام ملكاً وكان يأكل من عمل يديه (١١) ص ١٢٥، (٥) ص ٢٠٩، وكان عمله أشبه بعمل أو هو عمل الحداد، وأنبياء الله اختارهم الله سبحانه من خيرة خلقه، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يحتقر من لا صنعة له ولا عملاً، ولم يحتقر أو يُقلل من شأن من له مهنة أو حرفة مباحة. إن الجدير بالاحتقار وعدم الاكبار ليس صاحب الصنعة ولكن من لا صنعة له أي العاطل المتبطح المتسدِّح الذي يسهم في تعزيز البطالة والخمول والتخلف، ويعيش ويهيم كما تهيم السائمة: أكل وشرب ونوم ومظاهر مع هذر وضياع، ولا يستفيد المجتمع منه وإنما ينطبق عليه القول السائر (يأكل ما كان ويضيق المكان) ومثل هذا مهما كان نسبه وحسبه فهو الأحق بأن ينظر

إليه نظرة دونية إلاَّ إذا كان معذوراً لسبب من الأسباب المقنعة (بكسر النون) قال ﷺ: «إن أشرف الكسب كسب الرجل من يده» ص ٣٨٣ وقال: «البطالة تقسي القلب» ص ٣٨٩ (٥).

وكم جرّت القبلية المتعصبة من ويلات على أصحابهاومنها ما هو مثير للاستغراب بل والسخرية و(اللهم لا شماتة) إذ من التنفج والاستعلاء ما يجعل من يحتقر مهنة شريفة دارّة للرزق مدرّة للربح يبقى في مذلة العيش على فتات الناس وفضلات أموالهم، وله العذر لو كان محتاجاً وغير قادر وسدت سبل العيش في وجهه فهذا لا لوم عليه بل دعاء له بأن يعافيه الله ويغنيه ويحمينا، وكم من متكبر جرّته كبرياؤه إلى مذلة وهوان سواء أحس أو لم يحس بذلك.

● إبراهيم الخليل عليه السلام زوجته هاجر ومن أولادها إسماعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وسارة زوجته الأخرى من أولادها إسحاق وذريته ومنهم موسى وعيسى عليهم السلام فهل لاسماعيل أو إسحاق وذريتهما أفضلية نسب على الآخر؟ وهل لاختلاف الخؤولة أهمية ووزن في القدر أو التزاوج أو المهنة؟!!.

إن معرفة النسب وحفظه لم يعلّل إلاّ لعلّة صلة الرحم وليس للتقاطع أو التمييز أو ما يشبه تحريم أو رفض العمل في بعض المهن رغم أن المواطنة ومصلحة المجتمع أحياناً تدعوان للقيام بها.

العوانس والأرامل

عدة عوامل قد تتجمع لتكوِّن حالة قد تصبح قضية، وتوجد مشكلة، وتسبب معاناة وإعاقات، ومن تلك العوامل:

١ ـ بعض المسلسلات الإذاعية والتلفعيونية العربية التي تكثف استنكار زواج الأرملة ولو كانت صغيرة.

٢ ـ إدعاء أن زواج الشاب أثناء الدراسة من معوقات الدراسة، وبالتالي مقاومة ورفض مبدأ الزواج المبكر الذي يحث عليه النقل والعقل.

٣ ـ تسهيل سفر الشباب لبلدان (الايدز والهربس) وذلك بتوفير رحلات الطائرات، وعدم رفع أسعار تذاكرها، مع عدم تكثيف استنكار السفر التافه الغرض، المخزي في مقصده على من يفعل.

٤ ـ ضعف الوازع الديني لدى هذا النوع من الشباب (المتكوِّر) على محدودية ذهنه وضيق أفقه، مع ضعف التوعية الصحية والتوعية الإسلامية الأخلاقية وخاصة في الأمور التي لا

يقتصر ضررها على الفرد ذاته وإنما تنتشر عدواها للآخرين مما يتطلب حماية لهم ودفاعاً عنهم، والتربية المسلكية الإسلامية تعتبر من الأهم المقدم على المهم في الحياة الإجتماعية، وبناء المجتمع الواقي ـ بإذن الله ـ لبذور الأمة من الآفات والوهن وسوء النمو.

٥ ـ إلقاء بعض الشباب التبعة على مشجب غلاء المهور، وكأن هذه المسألة عامة.

٦ ـ عدم استعداد بعض الأمهات أو البنات لأن تشق ابنتهم سبيل المجاهدة لمشاق الحياة، وطلب الرزق مع زوجها الفتى منذ البداية مع الصبر على شظف العيش، وإنما يطلبون توفير وسائل الراحة وأسباب العيش الرغيد وربما الكماليات فضلاً عن الضروريات، والتي معظمها ما هو إلاّ كماليات، وذلك قبل دخول القفص الذهبي، وشق السبيل السليم في ممرات الحياة التي يحلو حلوها أكثر بتذكّر مُرّها.

٧ ـ محاربة تعدد الزوجات إجتماعياً وإعلامياً في الإعلام العربي والغربي حتى في حالات الضرورة، أكثر من محاربة الانحراف الجنسي!! ومن ذلك السعي إلى إلباس الأدلة الشرعية في هذا المجال مفاهيم هي غير ما يفهم منها، ورغم أن نساء العالم أكثر من رجاله، وان التعدد مع

الاضطرار خير ـ ولا مقارنة ـ من الفاحشة وأذاها وبلائها، والتعدد المنبوذ هو الآتي عن عبث واستهتار ومجرد تذوق أناني لا يقيم وزناً لمستقبل ومصير شقائق الرجال، ومن الجنة تحت أقدامهن بإذن الله.

٨ ـ التدليل، وضعف التربية، وبعض أخطاء التربية الحديثة وخاصة في مواقفها من العقوبات الجسدية غير المبرحة، والقلق العصري، وعدم التعود على المشاق وتحمل المسؤولية منذ الصغر، والافراط في الحساسية جعلت البعض يتهربون من مسؤوليات بناء الأسرة (الزوجية والأبوة والأمومة).

٩ ـ تباين وتشعب وجهات النظر في مفاهيم الفتى عن الفتاة فيما يتعلق ببيت الزوجية وذلك بسبب تباين المشارب التي استقوا منها ثقافتهما.

١٠ ـ الزواج من الخارج، والذي يبدأ تكوينه بمشاعر مراهقة وأغراض جنسية، وينتهي في الغالب بندم عند الاقتراب من سن العقل وما بعدها، وبعد مجيء الأطفال، وبعد أن يصحو العقل وترقد الشهوة المزاجية. ويتبين أن الذهب المحلى أصفى وأنقى من الخارجي.

وبمزيد من التصور قد تزيد الصور، والقبلية في الزواج مما يزيد الطين بلّة.

والله أعلم.

من الأدب الاجتماعي
الذي يعيش لروعته وصدقه

وصية امرأة عوف بن محلم الشباني لابنتها عند زفافها إلى ملك كندة:

«أي بنية: إنك قد فارقت بيتك الذي منه خرجت، وعشك الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أمة يكن لك عبداً، واحفظي له عشر خصال يكن لك ذخراً..

أما الأولى والثانية: فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتعهد لموقع عينه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلاَّ أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن، والماء والصابون أطيب الطيب المفقود..

أما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت طعامه والهدوء عند منامه فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبه..

وأما السابعة والثامنة: فالتفقد ببيته وماله، والرعاية لنفسه وحشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشي له سراً ولا تعصي له أمراً فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره..

ثم اتقي مع ذلك الفرح إن كان ترحاً، والاكتئاب عنده إن كان فرحاً، فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير، وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً، يكن أشد ما يكون لك إكراماً.. وأشد ما تكونين له موافقة، يكن أطول ما يكون لك موافقاً، واعلمي إنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت والله يخير لك...».

قطوف من حروف

نصوص من روائع الدستور:

﴿فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (٥٠) سورة القصص.

﴿ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون﴾ (٥١) سورة القصص.

﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعٰقبة للمتقين﴾ (٨٣) سورة القصص.

هذه الآيات نزلت في مناسبات خاصة، وليست بالضرورة تعني الموضوع المطروق. لكن عموم التوجيه فيها، وشمولية الإرشاد، والعبرة وحكمة الدعوة إلى الأصلح الأنفع الأرجح دعت إلى التمثل بها. والحرص على ذكرها للتذكر والتدبر والاعتبار والاستطراد بذكر غيرها.

ومن روائع الدستور الأمين ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا

تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين (٤٦) ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط (٤٧) وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب (٤٨) إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم ﴾ (٤٩) سورة الأنفال.

﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولو الألباب (١٩) الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق (٢٠) والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب (٢١) والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلوة وأنفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار ﴾ (٢٢) سورة الرعد.

﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير﴾ (١١٢) سورة هود.

﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً﴾ (٥٤) سورة الفرقان.

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا

يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ (٦٥) سورة النساء.

﴿وإنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾ (٥١) سورة النور.

● قال ﷺ «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه» أخرجه أحمد وأبو داؤد وابن ماجة والترمذي.

«الناس ولد آدم، وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى» أخرجه ابن سعد بإسناد حسن.

«أوحى الله إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد» أخرجه مسلم وأبو داؤد وابن ماجة.

ومن حديث «... ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم...» الخ.

أخرجه مالك وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داؤد والترمذي وفي أول الحديث وآخره درر نصائح ثمينة بناءة تتعلق بأمور أخرى غير مباشرة لموضوع هذا البحث.

﴿لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه﴾ (٥) المرجع ص ٤٢٥.

أحاديث أخرى شريفة
من كتاب (زبدة البخاري)

١٢٠٨ ـ عن سهل رضي الله عنه «ما تقولون في هذا؟ مرّ رجل فقاله. قالوا: حَرِيٌّ إن خطب أن يُنكح، وإن شفع أن يُشفّع، وإن قال أن يُستمع. قال ثم سكت، فمرّ رجل من فقراء المسلمين فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حري إن خطب أن لا يُنكح وإن شفع ألاّ يُشفّع، وإن قال ألاّ يُستمع، فقال رسول الله ﷺ هٰذا خير من ملء الأرض مثل هذا» ص ٢٩٢.

١٢٢٠ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، وكونوا إخواناً، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك» ص ٢٩٥.

١٢٢٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن خُلقن من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن

ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً» ص ٢٩٥.

١٢٣٠ ـ عن المغيرة رضي الله عنه «أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، والله أغير مني» ص ٢٩٦.

١٢٣١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه «إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرّم الله» ص ٢٩٦.

● والشاعر يقول:

فـلا تـتكـل إلاّ عـلى مـا فـعلتـه
ولا تحسبن المجـد يـورث بـالنسـب
فـليس يسـود المـرء إلاّ بـنفـسـه
وإن عـدّ آبـاء كـرامـاً ذوي حسب

(٩) جـ ١ ص ٨١

ويقول آخر:

لعمـرك مـا الإنسـان إلاّ ابن دينـه
فـلا تترك التقـوى اتكالاً عـلى النسب
فقـد رفـع الإسـلام سلمـان فـارس
وقـد وضـع الكفـر النسيب أبـا لهب

(٩) جـ ١ ص ٦٢

وثالث اشتهر قوله:

لا تـقـل أصـلي وفـصـلي أبـداً
إنمـا أصـل الفتى مـا قـد حصـل

ورابع مثله يقول:

كـن ابن مـن شئت واكـتسـب أدبـاً
يـغـنيـك محمـوده عـن الـنـسـب
إن الـفـتى مـن يـقـول هـا أنـذا
لـيس الـفـتى مـن يـقـول كـان أبي

(٩) جـ ١ ص ٩١

والشاعر الخامس يقول:

يعد رفيع القوم من كان عاقلاً
وإن لم يكن في قومه بحسيب
وإن حلّ أرضاً عاش فيها بعقله
وما عاقل في بلدة بغريب

(٩) جـ ١ ص ٧٧

والسادس يقول:

ما لي عقلي وهمتي حسبي
ما أنا مولى ولا أنا عربي
إن انْتمى مُنْتمٍ إلى أحدٍ
فإنني منتمٍ إلى أدبي

(٩) جـ ١ ص ٩٧

وشاعر غيره يقول:

وإن تقولوا إلى الطيار نسبتنا
فالتمر ينبت في أضعافه الشيص

(٩) جـ ١ ص ٢٩١

ويقول شاعر آخر:

لسنا وإن أحسابنا كرمت
يوماً على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا
تبنى ونفعل فوق ما فعلوا

ولو كرّس المرء وقته أو جزءاً كبيراً منه لجمع الأبيات التي تدور حول هذا المعنى لملأ الصفحات وأصدر كتاباً زاخراً.

● ألا ما أحوجنا دائماً إلى أخوة كأخوّة المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم فذلك سبيل اقتناء النصر والعزة والمنعة والتراحم، ومجتمعنا ـ ولله الحمد والفضل ـ ليس فيه شقاق بل يتسم طبعه بالتروي والتعقل والتفهم لكن المراد مزيد من التلاحم في ظل استزادة من المحبة في الله تسعد الصغير والكبير والحاكم والمحكوم، وما الذي يسعد الأسرة سابقاً التقوى والمحبة؟! إن من أخطر المخاطر على صحة المجتمع وأشنع المزالق أن يدرس النشء في المدارس مُثُلاً وقيماً وتعاليم إسلامية، ثم يجد الممارسة الإجتماعية مناقضة لها، وبذلك ينشأ وقد تجاذبه تياران متضادان، كما قد ينشأ على فلسفة وممارسة أن القول شيء والتطبيق شيء آخر وهذا ما يجعل السير يتجه إلى الوراء ولا يتقدم خطوة واحدة إلى الأمام ـ لا قدر الله الشر ـ ويوجد النفس المضطربة إلى حد الخلل والتي ضررها أكثر من نفعها، وفناؤها قد يكون خيراً من بقائها حمانا الله تعالى.

اللهم اجعلنا من الفرقة الناجية ولا تجعلنا ممن على الشُعَب التي تربو على السبعين مخالفة لكتابك الكريم وسنة نبيك وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

والله الموفق لعمل الخير وخير العمل.

● يقول قائل ناظم:

١ لهف نفسي، توق قلبي للسنا يُجلي خمولي
٢ يا عبير الود سلم لاثماً شوق العليل
٣ يا نسيم الصفو عرِّج مؤنساً صبحي وليلي
٤ يا لوجدي قد سقاني ـ حالماً ـ من سلسبيل
٥ شفّة نَوْر اللآلي مثل منضودٍ صقيل

٦ زانه الخمري قدّاً مخجلاً شمس الأصيل
٧ مائلاً أو مستميلاً يا لنفسي لا تميلي
٨ عسجديٌّ في افتتان وصفه سر النحول

٩ وعيون ساحرات بحرها أردى سُهيلي
١٠ قد رماني بالأماني واستباني في ذهولي
١١ فإذا الأوهام تضحى حائلاً دون الوصول

١٢ دون إتمام التلاقي كم أناخت من ذَلول
١٣ وإذا الأحلام تقصى كل عثّار دخيل
١٤ وإذا الإيمان ينهى كل شيطان ذليل

١٥ وإذا الأحزان تضفي حكمة من مستحيل
١٦ قد يؤاخيها بوعي كل جيل إثر جيل
١٧ ويجيء الصحو فجراً بعد ساعات الذبول

١٨ أ.... أم قبيلي لست أخفى عن قبيلي

١٩ أمتي عندي سواء إنما التقوى دليلي
٢٠ فمن استعدى قَصيٌّ ومن استهدى خليلي
٢١ من يؤاخيني بصدقٍ فهو نبراس النبيل
٢٢ وهو مأمون الخوافي وهو ترياق العليل
٢٣ وبنات الطُّهر عندي غاليات كالنخيل
٢٤ ما للونٍ، أو لجنس أو لأصل من فضول
٢٥ ليس في التقوى رفيعٍ أو وضيع بالأصول
٢٦ إنما يعلو مقاماً من وعى أمر الجليل
٢٧ ربنا أبدى المزايا هادياً قبل الرحيل
٢٨ ما لجهلٍ من مكانٍ أو لعذرٍ من سبيل
٢٩ درب «فرّق» لا يسوّد غير قطاع الخميل
٣٠ من يرون الشين زيناً هل بقبح من جميل؟!
٣١ ويرون الحلو مُرّاً تحت أوهام الدليل
٣٢ فإذا طاوعت إثماً هل سأحظى بالقبول؟
٣٣ وإذا غادرت يومي قاصداً أمس الأفول
٣٤ في تقاليد تناءت عن تعاليم الرسول
٣٥ فلقد أخطأت دربي سالكاً درب الجهول
٣٦ ولقد حققت حُلْماً لخنازير الحقول
٣٧ أي صوت ليس حيّاً كيف يُدعى بالصهيل؟!
٣٨ ظل صبح قد تولّى ليس ظهراً بالظليل
٣٩ ما عدا الإسلام قطعاً فهو سبّاق الخيول
٤٠ وهو دوماً في حياة واقتدار وشمول

٤١ وهو في الماضي اختبار وهو ممتاز الحلول
٤٢ يعربيٌ، أجنبيٌ مشرقيٌ، مغربيٌ
٤٣ أي وصف مذهبيٌ من قصيرٍ أو طويل
٤٤ ليس يحلو لي بتاتاً ليس من شرطي وقبلي
٤٥ مسلمٌ، شهمٌ، أبيٌ ذا قبيلي، ذا وقيلي
٤٦ هاتف الإسلام عندي فائق عذب الهديل
٤٧ واحة الإيمان نفح بزٌّ أنسام العليل
٤٨ أمتي عندي سواء إنما التقوى دليلي

* * * * *

٤٩ ليس ما قلت انهماراً إنه نزر القليل
٥٠ ليس ما فيه انفعالاً ليس عشقاً للطبول
٥١ إنه إيمان قلب راغب جمع الفلول
٥٢ وظلال الحب درع يتقي شر الغلول
٥٣ ويقي الأحباب دسّاً من صليب أو مغول
٥٤ ربِّ وفقنا جميعاً في اتباع للائيل
٥٥ وأنر أبصار قومي واسق أعراق الغليل
٥٦ لا يكن تفعيل صحبي ضرب وهمٍ أو مَقول
٥٧ إنما التفعيل فِعْلٌ فاعلٌ فِعْلَ الفَعُولِ

● «والحب الوحيد الذي يستعلى على هذه القاعدة هو حب الله تعالى، لأنك فيه تأخذ ولا تعطي شيئاً على الإطلاق، وأنت فيه تجرم وتخطىء وتذنب وتزلّ ولا يتغير حب الخالق، ويظل يفتح باب التوبة».

أحمد بهجت/ مجلة المجلة
(٢٥١) في ٩/٣/١٤٠٥

● المبادىء القويمة والالتزام بها أولى بالسبق من العواطف، وما أضر بمن تضرر وتعثر أو يكاد إلاَّ الانسياق وراء الهوى والانجراف مع العواطف؛ وما سادت المبادىء السامية إلاَّ وحققت السيادة وأوجدت العواطف المحمودة في موضعها الحميد. والعاقبة للتقوى وللمتقين.

● الكلمة السيئة غير الموزونة ولا المتزنة لها موضعان متناقضان متعارضان:

فهي تؤثر على من قيلت فيه في المجتمعات النائمة، والأوساط الأمية الجاهلة أو الجاهلية، والتي تسير بعقلية متخلفة قد تجاوزها الزمن بـ «استراتيجياته» وتخطيطه، وتنبىء عن ذهنية ظاهرة التخلف سريعة التقهقر، قد خلّفها التطور وراء ظهره فصارت سمة من سمات الإنحدار، وأصبحت ذات مردودٍ عكس ونتاجٍ وهمي يبرهن على نقص الثقافة وتقلصها، وضآلة الأدب، وضحالة الفكر،

وضعف العلم، مع نأي عن أصالة التراث وعميق جذور حكمته، وثمار فعالياته وتأثيراته ودوره التاريخي المجرّب، حيث يقترن مُعانقه بالفوز، ويلتف مفارقه بأكفان الهزيمة.

وهي ـ أي الكلمة السيئة ـ تؤثر على قائلها، ولا تضير من قيلت فيه إذا ظهرت في المجتمعات الراقية الواعية المدركة المستقصية قبل إصدار الأحكام وإعلان قبول ما قيل.

أما الكلمة الطيبة فأهلها مثلها سواء قالوها أو قيلت فيهم. ولا ينبذها إلاَّ من لا يعشقها. هذا «التفلسف» يتطلب تصور محيطه وصوره قبل الأخذ به أو الأخذ بما سواه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلم على القائد المجاهد الرائد معلم الأمة البشير النذير، وعلى آله وصحبه، ومن على نهجه يسير.

المراجع

١ ـ القرآن الحكيم ـ في أكثر من موضع ـ ذلك الدستور الرائع الهادي لأمة الإسلام والبشرية المنصفة، والمرجع الأول والفيصل في أي مناسبة.

٢ ـ صحيح ابن خزيمة، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي جـ ٣ الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٩٥.

٣ ـ فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي، الطبعة السابعة، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ١٩٧٦.

٤ ـ الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة، المؤسسة السعيدية بالرياض ١٣٩٨.

٥ ـ منهاج الصالحين، من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين، عز الدين بليق، الطبعة الأولى، دار الفتح بيروت، ١٣٩٨ هـ.

٦ ـ رجال حول الرسول، خالد محمد خالد، الطبعة الثانية، دار الكاتب العربي، بيروت ١٩٧٣.

٧ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير الجزري، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، نشر الحلواني الملاّح ودار البيان، ١٣٩٢ هـ.

٨ ـ متن البخاري بحاشية السندي، للإمام البخاري، دار المعرفة بيروت.

٩ ـ الشوارد، عبد الله بن محمد بن خميس، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٣٩٤.

١٠ ـ مجلة الجامعة الإسلامية، العددان ٤٧، ٤٨، رجب ـ ذو الحجة ١٤٠٠ هـ.

١١ ـ رياض الصالحين، للإمام النووي، المطبعة الميمنية بمصر، الرياض ١١٤٩٤.

١٢ ـ زبدة البخاري، عمر ضياء الدين، دار التوفيق، بيروت.

محتويات الكتاب

اختلاف ولا خلاف ٧
قبيلة آدم ١٣
نقاط ذات صلة ٤٥
العوانس والأرامل ٤٧
من الأدب الاجتماعي عن الذي يعيش ٥٠
قطوف من حروف ٥٢
أحاديث أخرى شريفة ٥٥
المراجع ٦٥
كتب للمؤلف ٦٧

كتب للمؤلف

صدر منها:

١ ـ ما استطعت، عن التربية والمجتمع ـ الناشر دار العلوم ـ هاتف: ٤٧٧٧١٢١ ـ ص. ب.: ١٠٥٠ ـ الرياض.

٢ ـ العقلية الإسلامية وفكرة المولد، عن التربية والمجتمع ـ مكتبة الخريجي ـ هاتف: ٤٦٤٤٣٨٤ ـ ص. ب.: ١٧٧٣٢ ـ ١١٤٩٤ ـ الرياض.

٣ ـ الرأي ما ترون، عن التربية والمجتمع ـ مكتبة الخريجي ـ هاتف: ٤٦٤٤٣٨٤ ـ ص. ب.: ١٧٧٣٢ ـ الرياض. ١١٤٩٤

٤ ـ إلى من يقرأ، عن التربية والمجتمع ـ الناشر ـ المؤلف ـ ص. ب.: ٥٧٩٠٨ ـ ١١٥٨٤ ـ الرياض.

سيصدر تباعاً:

١ ـ كلام في زمنه، عن التربية والمجتمع ـ المادة جاهزة.

٢ ـ غير صالح للنشر، عن التربية والمجتمع ـ المادة جاهزة.

٣ ـ ليس شعراً، عن التربية والمجتمع ـ المادة جاهزة.

• الرقم التسلسلي يكتب على العيسى في ملفات:
PDF

ما استطعت = PDF 31

الرأي ما تردد = PDF 32

العقلية الإسلامية وفكرة المولد PDF 33

قبيلة آدم = PDF 34

إلى متى يقرأ عن التربية والمجتمع = PDF 35

كلام في زمن عن التربية والمجتمع = PDF 36

الشعر والشعور = PDF 37

تعلو المدارك بقارب / شعر = PDF 38

صورة تروى = PDF 39

حوار مع الأفكار = PDF 40

القراءة أو الإنصات للأمور في الصلاة = PDF 41

صمت يملأه قول، محاورة مع قضايا معاصرة = PDF 42

التمثيل تمثيل، فلماذا التمثيل؟ = PDF 43

نكتة.. حول أسماء شركات الطحن = PDF 44

حديث الصمت / شعر = PDF 45

ليت تدري = PDF 46

الإبداع.. شائع أم ضائع؟ = PDF 47

ليت شعري / شعر = PDF 48

قليل مما قل = PDF 49

منه إليه وإلى أبيه / عن اللغة العربية = PDF 50

كتب للمؤلف / علي العيسى

" ما قرأ منه تصفح "

١- ما استطعت / عن التربية والمجتمع .
٢- الرأي ماترون / عن التربية والمجتمع .
٣- العقلية الإسلامية وفكرة المولد .
٤- قبيلة آدم .عن القبلية والزواج من الخارج.
٥- إلى من يقرأ / عن التربية والمجتمع .
٦- كلام في زمنه / عن التربية والمجتمع.
٧- الشعر والشعور/ مسكون بالتسطيح في تكوين الاستبطان .
٨- تعلو التلال بقارب / شعر.
٩- صلاة تنهى / تربية اجتماعية .
١٠- حوار مع الأفكار.
١١- القراءة والإنصات للمأموم في الصلاة .
١٢- مما يمكن قوله / محاورة مع قضايا معاصرة .
١٣- التمثيل تمثيل ، فلماذا التمثيل ؟
١٤- مفاهمة حول أسهم شركات المساهمة .
١٥- حديث الصمت / شعر.
١٦- ليت نثري .
١٧- الإبداع . . شاع أم ضاع.
١٨- ليت شعري / شعر.
١٩- قليل مما قل/ عن التربية والمجتمع .
٢٠- الموقف من الربا يحدد نوعية المجتمع .

كتب مسودتها جاهزة للطباعة

٢١- من أين و إلى أين ؟ محاورة عن مناهج اللغة العربية.
٢٢- قراءة و رؤية / دراسة لرسائل متبادلة بين مفكرين من العرب والغرب.
٢٣- في الدائرة و خارجها / محاولات لمعالجة آلام التمزق والتفرق.
٢٤- أي إسلام نعنيه/ملخصات ميسرة لجوانب الإسلام، لاستبعاد ما يدعيه للإساءة إليه جهلاً أوقصداً.
٢٥- شعر من الأعماق .
٢٦- المرأة قميص عثمان ..وغيره من القمصان.
٢٧- شاعر شاعرة (شعر)